

علماء توات ودورهم في نشر التصوف بالسودان الغربي بين القرنين 15 و 19 م

الأستاذ الدكتور مبارك جعفري

جامعة أحمد دراية . أدرار . الجزائر

الملتقى الدولي الأول الموسوم "الأمنُ الديني وتوحيدُ المرجعيات ودورُهما في استقرار دول الساحل ومحاربة التطرف تنظيم المعهد الوطني للتكوين المتخصص للأسلاك الخاصة بإدارة الشؤون الدينية والأوقاف بتمنراست بالتعاون مع المركز الجامعي أمين العقال الحاج موسى أقي أخاموك بتمنراست، يومي 25 و 26 فيفري 2017.

شكلت الطرق الصوفية رباطا روحيا جمع بين الجزائر ومنطقة السودان الغربي على العموم، وكانت توات في الجنوب الغربي للجزائر بمثابة البوابة التي مرت منها الكثير من الطرق الصوفية لأفريقيا، وفي مقدمتها الطريقة القادرية بفروعها المختلفة كالبكائية والمختارية، والتجانية، والرقانية وغيرها وسنحاول من خلال هذه المداخلة تسليط الضوء على إسهامات علماء توات وجهودهم في نشر التصوف في إفريقيا من خلال الخطة الآتية:

. تعريف موجز بتوات.

. عوامل ازدهار التصوف بتوات:

. أهم الطرق الصوفية بتوات.

. المغيلي وجهوده في نشر الطريقة القادرية في السودان الغربي.

. جهود العائلة الكنتية.

. جهود العائلة الرقانية.

. تأثير الأفارقة بصوفية توات.

. خاتمة.

- تعريف موجز بتوات: تقع منطقة توات في الجنوب الغربي للجزائر، وتتشكل من ثلاث وحدات أساسية هي: تينجورارين، توات الوسطى، تيدكلت. هناك اختلاف بين الرواة والمؤرخين في أصل التسمية ومعناها نذكر منها: ما ورد في كتاب "تاريخ السودان" لعبد الرحمان السعدي⁽¹⁾؛ من أن سلطان مالي في طريقه إلى الحج أصاب مرض أصحابه يعرف (بتوات) في لغة السكان منع من إتمام السفر فاستوطنوا هناك وحمل المكان اسم المرض، بينما يرى محمد بن عمر البوداوي وهو من المؤرخين المحليين أنه لما فتح عقبة بن نافع الفهري بلاد المغرب، سأل أصحابه عن أماكن بعيدة في الصحراء هل تواتي لنفي المجرمين؟ فأجابوه بأنها تواتي، فأطلق اللسان بذلك وأصبحت توات لعلة التخفيف⁽²⁾. والبعض يرى إن توات اسم لأحد القبائل الصحراوية بالجنوب⁽³⁾. والبعض يرى أنها كلمة عربية جاءت من الأتوات وهي الفاكهة التي كان يدفعها السكان لملك الموحددين بدل الضرائب⁽⁴⁾. وهناك من يرى أن اسم توات أطلقه الطوارق والعرب على الواحات المنتشرة على ضفاف واد الساورة وواد مسعود⁽⁵⁾، ويقول الشيخ مولاي أحمد الطاهري الإدريسي أنها سميت بهذا الاسم لأنها تواتي للعبادة ولهذا سكنها الكثير من العلماء والأولياء والصالحين⁽⁶⁾. بينما يرى (روكليس . Reclus) أن توات اسم بربري يعني الواحات⁽⁷⁾ بينما يرى المؤرخ (مارتان . Martin)، أن كلمة توات أصلها إغريقي وتعني الواحة⁽⁸⁾... ألخ من الروايات التي لم تستطع أي منها أن تحق الجزم رغم كون أغلب المصادر تتفق على

للأصول البربرية للاسم كون أن البربر من الملتمين وزناته هم أول من سكن المنطقة وكذلك كون معظم أسماء القصور بربرية فكيف تكون الفروع بربرية والأصول غير ذلك.

يسود المنطقة مناخ صحراوي جاف طوال أيام السنة مع الحرارة الشديدة في فصل الصيف، تصل إلى خمسين درجة مئوية، والبرودة في فصل الشتاء، كما تعرف هبوب رياح قوية خاصة في فصل الربيع والصيف⁽⁹⁾. وبالرغم من قسوة الطبيعة وصعوبتها تمكن الإنسان من أعمار المنطقة منذ عصور ما قبل التاريخ حسب الآثار والشواهد كما استخدم الفنيقيون والرومان طريق توات في علاقاتهم مع جنوب الصحراء⁽¹⁰⁾ ويرى برنارد سافرو (Bernard Saffroy) أن اليهود استوطنوا توات منذ القرن الأول قبل الميلاد⁽¹¹⁾ وبعد دخول الإسلام إلى شمال أفريقيا لعبت المنطقة دورا الوسيط في العلاقة بين دول ممالك المغرب الإسلامي الأوسط والسودان الغربي، ليشهد بداية من القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي تدفقا للقبائل البربرية والعربية القادمة من الشمال بسبب الاضطرابات السياسية، ليصبح مركزا مهما من مراكز التجارة الصحراوية خاصة بعد سقوط مملكة غانا وقيام مملكة مالي في القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي وتراجع الطريق التجاري الصحراوي الغربي الربط بين مراكش والسودان الغربي ليحل محله طريق توات تمبكتو كما أصبح طريق الحج الرئيسي عند سكان الجزء الغربي والأوسط من السودان الغربي يمر عبر توات وهو ما زاد في مكانة المنطقة وعمارتها⁽¹²⁾.

شهدت المنطقة بداية من القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي نهضة علمية وثقافية استمرت زهاء ستة قرون من الزمن ساهمت مجموعة من العوامل في قيامها واستمرارها وفي مقدمتها وجود الزوايا والطرق الصوفية والتي كان لها دورا بارزا في مختلف مناحي الحياة، وتعد توات من بين المناطق الصحراوية التي عرفت انتشارا كبيرا للطرق الصوفية وقلما تجد في توات فردا وخاصة إن كان من أهل العلم ليس من مريدي طريقة، كما لا يكاد يخلوا قصرا من زاوية أن لم تكن مخصصة للتعليم فهي مخصصة للضيافة، وكثير هي القصور التي كان أول أمرها زاوية مثل زاوية كنته، وزاوية سيد البكري وزاوية الدباغ، وزاوية حينون، وزاوية سيدي عبد القادر .

- عوامل ازدهار التصوف بتوات: قبل الحديث عن أهم الطرق الصوفية بتوات لابد من

الحديث بإيجاز عن مجموعة من العوامل ساهمت في انتشار التصوف بتوات نذكر منها:

- **قدوم رجال التصوف إلى المنطقة:** قدم إلى توات عبر أزمنة مختلفة عدد كبير من

الصوفية نذكر منهم: الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي (ت 909هـ/1504م)⁽¹³⁾ الذي حل

بتوات سنة 882هـ/1478م⁽¹⁴⁾، ويعتبر أول من أدخل الطريقة القادرية إلى الصحراء ومن

توات انطلق في نشرها ببلاد السودان الغربي. ومنهم الشيخ أحمد بن محمد الرقاد الكنتي

القادري⁽¹⁵⁾ والذي قدم من واد نون بالصحراء الغربية سنة 999هـ/1590م وهو مؤسس

الزاوية الكنتية الرقادية القادرية. ومنهم الشيخ أحمد ألتيجاني مؤسس الطريقة التجانية والذي

قدم سنة 1196هـ/1782م، وكان نزوله بدلدول⁽¹⁶⁾ ووقع له سجال ونقاش مع علماء توات.

- **البيئة المناسبة:** مثلت البيئة في توات بمميزاتا الطبيعية بيئة مناسبة للزهد والتصوف وإقامة الزوايا للعلم والإطعام، وفي هذا الصدد يقول مولاي أحمد الطاهري الإدريسي في أصل كلمة (توات) أنها سميت بهذا الاسم لأنها تواتي للعبادة ولهذا سكنها الكثير من العلماء والأولياء والصالحين⁽¹⁷⁾.

- **طبيعة المجتمع التواتي:** كونه يتشكل من شعوب وأجناس مختلفة كما أن طبيعة النفوس في توات في غالبها تميل للسكينة والعافية ومحبة العلماء وهو ما أشار له الرحالة الألماني جيرهارد روهلفس (rohlf's Gerhardt) بوصفه لسكان توات بالمسالمة وأنهم يحبون الغرباء ورجال الدين⁽¹⁸⁾. وفي هذا الإطار يقول صاحب "درة الأعلام": "ولقلة ضعف أهلها وهضم قوة النفوس بها، كثر فيها الصالحون والزهاد، وأرباب القلوب"⁽¹⁹⁾.

- **الحج:** كانت توات إحدى المحطات الرئيسية لحجيج المغرب الأقصى وبلاد السودان الغربي، وكان الحج فرصة سنوية مناسبة لكثير من العلماء والمشايخ لزيارة المنطقة والالتقاء بأهلها، كما كان فرصة لسكان المنطقة لزيارة البقاع المقدسة والتقاء المرید بشيخه وكان القادريون منهم يحرصون بعد أداء فريضة الحج على زيارة بغداد حيث قبر الشيخ والتزود بكل ما هو جديد، فقد زار الشيخ محمد بن إسماعيل المنساوي الجراري بغداد وأقام بها مدة وأخذ عهد الطريقة⁽²⁰⁾.

- **ازدهار النشاط التجاري:** أدى ازدهار النشاط التجاري في توات إلى كثرة الأوقاف والعطايا كما برز نوع من التجار الموردين أو التجار أصحاب الزوايا والذين كانوا ينشئون الزوايا

وينفقون عليها بسخاء مثل الشيخ سيدي علي بن حنيني (ت1115هـ/1703م) صاحب الزاوية المشهورة بزاقلو، كانت له تسعمائة جمل تتاجر في بلاد السودان، وكل ريعها ينفق في الزاوية⁽²¹⁾. والشيخ أبي الأنوار بن عبد الكريم التتيلاني، (ت 1168هـ/ 1755م)، الذي كان يشتغل بالتجارة بين توات والسودان الغربي، وبعد عودته لتوات، استقر به المقام في أولف الشرفاء، حيث اشترى بساتين ومياه، وبنا زاوية⁽²²⁾.

أهم الطرق الصوفية بتوات: برز في توات الكثير من الطرق الصوفية منها:

. **الطريقة القادرية:** القادرية، أو الجيلانية؛ تنسب لمؤسسها الشيخ عبد القادر الجيلاني، ولد سنة 471هـ/1079م وتوفي سنة 561هـ/1166م، عرفت الطريقة انتشارا كبيرا في المغرب وأفريقيا. يعتبر الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي (ت909هـ/1504م) أول من أدخل الطريقة لتوات، وأخذها عنه الشيخ عمر الشيخ بن أحمد البكاي (ت 960هـ/1553م)، الذي أصبح رئيسها بعد المغيلي، وعمل على نشرها بمعيرة أحفاده الكنتيين في أفريقيا، من فروعها: الطريقة البكائية، والمختارية. كانت أكثر الطرق انتشارا وأكثرها تأثيرا في المنطقة. وكثير هي الزوايا والمدارس التابعة لها منها زاوية كنته، الزاوية البكرية، وزاوية الركب النبوي بأقبلي⁽²³⁾.

— **الطريقة الشاذلية:** تنسب هذه الطريقة إلى الشيخ أبي الحسن الشاذلي (ت 656هـ/1258م)

كان لها هي الأخرى وجود بتوات بفرعيها الطبيعية، والمليانية، حيث تذكر بعض الروايات أن مريدي هذه الأخيرة، كانوا يتعرضون للاضطهاد في توات، مما جعل شيخها الملياني

الشاذلي، يكتب بنفسه لأهل توات، ينهاتهم عن التعرض لأصحابه⁽²⁴⁾. كما كان للشيخ عبد السلام بن مشيش أبناء وأتباع بتوات، خاصة في قصر مكيد.

. **الطريقة الموساوية:** تنسب هذه الطريقة للشيخ احمد بن موسى بن خليفة، ولد بقرية سيدي موسى بالقرب من فاس سنة 895هـ/1475م، من شيوخه الشيخ محمد بن احمد بن غازي المكناسي والشيخ أحمد بن يوسف الراشدي الملياني، تنقل بين عدد من المراكز في الشمال، ثم استقر في الجنوب الغربي للجزائر بقرية سيدي موسى منطقة كرزاز وأسس هناك زاوية للعلم وقصده الناس من كل مكان وبدأ في نشر أوراده وطريقته، بعد وفاته سنة 1013هـ/1604م خلفه أبنائه على الزاوية والطريقة. التي انتشرت في منطقة كرزاز، وكان لها أتباع ومريدين في توات⁽²⁵⁾.

. **الطريقة الشيخية:** مؤسسها الشيخ عبد القادر بن محمد بن سليمان المعروف بسيدي الشيخ، ولد سنة 940هـ/1533م بقيق، درس على يد والده وعمه الشيخ أحمد المجدوب، انتقل بعدها إلى فاس ودرس بها الطريقة الشاذلية، عاد بعدها إلى فقيق وبنا زاوية للعلم، ارتبط بعدد من شيوخ توات ممن عاصروه، مثل: الشيخ سيدي احمد بن موسى، والشيخ أبو محمد دفين تباكوزة، له العديد من المؤلفات في التصوف منها: "الياقوته"، وهي قصيدة في التصوف، "رسالة في التصوف"، "الحضرة"، وطريقته فرع من فروع الشاذلية قامت في منطقة فقيق، وامتد تأثيرها إلى توات خاصة منطقة تينجورارين توفي سنة 1025هـ/1616م⁽²⁶⁾.

. الطريقة الطيبية: مؤسسها مولاي عبد الله بن إبراهيم الوزاني (ت1089هـ/1678م) وهي أحد فروع الشاذلية، كان لها دور ونفوذ كبير في منطقة توات (27).

. الطريقة الرقانية: مؤسسها الشيخ مولاي عبد الله الرقاني (ت 1148هـ/1735م) (28) الذي تتلمذ على يد الشيخ محمد بن أبي زيان القندسي، استوطن رقان وأسس بها زاويته التي ذاع صيتها في ربوع توات وأفريقيا خاصة في عهد ابنه وخليفته مولاي عبد المالك (ت1207هـ/1793م) (29) الذي عرف بزهده وورعه، وقال عنه البرتلي في فتح الشكور: "القطب الرباني، والغوث الصمداني، الوالي الصالح...ساقى المريد، وعمدة أهل التوحيد، شيخ المحققين، ومربي السالكين... وبالجملة فهو في الصلاح والولاية فوق ما يذكر ... مكث اثني عشر عاما لا ينام ليلا ولا نهار، ملازما لتلاوة القرآن" (30).

- الطريقة التجانية: أخذت الطريقة التجانية طريقها إلى توات وعرفت انتشارا لا بأس به خاصة في سنة 1204هـ/1790م، وكان لها أتباع في تيدكلت وتينجورارين، وقد زار الشيخ أحمد التيجاني توات سنة 1196هـ/ 1782م، كما كان لها عدد من المدارس والزوايا خاصة في تيكورارين (31).

. المغيلي وجهوده في نشر التصوف في السودان الغربي: من العلماء التواتيين الذين كان لهم دور بارز في نشر التصوف في السودان الغربي الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني التواتي دارا ومدفنا، وهناك الكثير من الشيوخ أخذ المغيلي عنهم التصوف نذكر منهم أبي العباس الوغليسي³²، والشيخ عبد الرحمان الثعالبي (ت 875هـ/1470م)³³ الذي

اتصل به في بجاية ومن شدة إعجابه به زوجه أبنته زينب³⁴، وتذكر بعض المصادر أنه شيخه في الطريقة القادرية وهو من أمره بنشرها³⁵.

بدأت دعوة المغيلي في بلاد السودان من بلدة تكدة التي درس بها وبقي هناك مدة ومن تلامذته هناك الشيخ محمد بن أحمد ابن أبي محمد التاذختي المعروف بأيد أحمد (ت 936هـ/1530م)⁽³⁶⁾، والشيخ العاقب ابن عبد الله الأنصمي المسوفي وهو أحد فقهاء تكدة (ت بعد 950هـ/1543م)⁽³⁷⁾، كما زار قرية (إياتول)⁽³⁸⁾ وبنا بها مسجد ودرس بها⁽³⁹⁾، ومن تكدا اتجه المغيلي إلى كانو⁽⁴⁰⁾، التي وصلها في حدود سنة 904هـ/1499م، وبنا بها مدرسة ومسجد سماه (مسجد الكرامة)، وزاول التدريس بها، وكان له اتصال بحاكمها) محمد بن يعقوب رمفا)، وعمل هناك على نشر الطريقة القادرية ويذكر الألواري أنه تزوج في كانو وأنجب ثلاثة أبناء وهم : أحمد، وعيسى، والسيد الأبيض وأحفادهم باقون إلى اليوم⁽⁴¹⁾. انتقل بعدها إلى مدينة كشنا التي استقر بها بعض الوقت وتزوج هناك وأنجب⁽⁴²⁾.

ومن بلاد الهوسا انتقل إلى بلاد سنغاي، وكان دخوله العاصمة غاو حوالي سنة 907هـ/1502م، التقى خلالها بالسلطان اسقيا محمد، الذي استقبله بحفاوة وكرم بالغين، وفيها أجابه المغيلي عن الأسئلة التي طرحها عليه، وكان تأثر الأسقيا بالمغيلي شديداً، حيث أثاره فيه دعوته وطريقته⁽⁴³⁾. يعود للمغيلي الفضل في إدخال الطريقة القادرية إلى الصحراء وبلاد السودان، وكان خليفته في نشرها، تلميذه الشيخ عمر الشيخ⁽⁴⁴⁾ وعنه أخذها أحفاده الكنتيون وراحوا ينشرونها في ربوع أفريقيا⁽⁴⁵⁾.

ومن أبرز الذين تأثروا بأفكار ودعوة المغيلي الصوفية بعد موته، الشيخ عثمان بن محمد بن عثمان الفودي القادري⁽⁴⁶⁾، وابنه محمد بلو، واتبعوا منهجه وطريقته الصوفية، وخير دليل على ذلك كتابه "سراج الإخوان في أهم ما يحتاج إليه في هذا الزمان"، الذي هو عبارة عن نسخة طبق الأصل من أجوبة المغيلي على الأسئلة⁽⁴⁷⁾، وكذلك أفكاره وآراءه، معظمها بنيت على آراء وأفكار المغيلي. وقد قال الشيخ عثمان ابن فديو في كتابه "أنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور" عن المغيلي بأنه: "كان فقيها حافظا، أصوليا، ومحدثا فرضيا، صوفي المسالك، متخلقا بأخلاق الصالحين"⁴⁸. ومن علماء الهووسة المعاصرين الذين أشادوا بدور المغيلي في هذا المجال الاستاذ عبد الله الألوري الذي قال عنه: "كان عالما صوفيا على الطريقة القادرية، ويقال أنه أول من نشر هذه الطريقة في غرب أفريقيا".

. جهود العائلة الكنتية: تعد قبيلة كنته من القبائل العربية التي استوطنت توات وكان لها دور كبير في نشر التصوف في السودان الغربي، ورغم تفرق كنته في الصحراء إلا أن هناك مجموعة من العوامل ظلت تربطهم منها: وحدة الأصل، والانتماء للطريقة القادرية⁽⁴⁹⁾، فقد انتسب الشيخ البكاي⁽⁵⁰⁾ للطريقة القادرية، مما منحه سلطة روحية وزعامة على الكنتيين وأتباع الطريقة في الصحراء وغرب أفريقيا، وفيه يقول بول مارتي (Paul Marty): "فقد كان هذا أرومة كنته ومنشأ سموهم، والأساس الذي قامت فوقه قوتهم، والسبب الأول لرفعة مكانتهم"⁽⁵¹⁾. وواصل بعده الدور ابنه عمر الشيخ (ت960هـ/1553م). رفيق المغيلي وتلميذه في الطريقة القادرية، ورغم أن المصادر لم تذكر متى وأين التقيا، لكن من المؤكد أنه

كان معه مدة من الزمن، في توات حيث موطن كنته الأول، وقد تأثر الشيخ عمر بالمغلي، وأخذ عنه الطريقة القادرية، وأتجه بعدها نحو السودان الغربي، وهناك عمل على نشر الطريقة والاوراد، لغاية وفاته(52).

ومن بين الزوايا الكنتية التي كان لها دور كبير في نشر الطريقة القادرية والتصوف في إفريقيا نجد الزاوية الكنتية الرقادية ومؤسسها هو الشيخ أحمد بن الشيخ محمد المعروف بالرقاد الكنتي، في حدود سنة 999هـ/1591م و بعد وفاته سنة 1063هـ/1653م(53)، خلفه ابنه الشيخ سيدي علي الذي توسعت الزاوية في عهده، وعمت شهرتها الأرجاء وكثر مريدوها من الطلاب وعابري السبيل من والسودان الغربي(54). وتذكر المصادر التاريخية، أنه بعد أن شاهد الشيخ أحمد إقبال الطلبة عليه بكثرة من بلاد السودان، أسس زاوية ومدرسة بتمبكتو، وأرسل ابنه الشيخ سيدي علي(ت1120هـ/1708م) ليكون قائماً عليها، وأقام هذا الأخير هناك، أكثر من عشر سنوات يعلم الناس الأوراد، ويفتي لهم، فأقبلوا عليه من كل فج، وأسلم على يديه خلق كثير، ثم عاد لتوات بعد دعوة أبيه له، ليخلفه على الزاوية الأم بتوات. وبعد موت الشيخ سيدي أحمد الرقاد، جاء وفد من أعيان مدينة تمبكتو للزاوية بتوات، وطلبوا من الشيخ سيدي علي، أن يرسل معهم من يقوم بأمر التعليم في الزاوية مكانه، فأرسل معهم ابن أخيه، الشيخ أحمد بن عمر بن أحمد الرقاد، بعد أن زوجه أبنته، ومكنه من الأوراد القادرية(55). وبعد مدة ورد على الزاوية الكنتية وفد من أروان، يطلب هو

الأخر شيخا ومعلما، فأرسل معهم الشيخ الأمين المعروف بذى النقاب، الذي بقي في أروان، قائما بالتعليم ونشر الطريقة القادرية إلى أن وافته المنية بها.

ومن الزوايا الكنتية القادرية زاوية الشيخ محمد بن عبد الرحمان أبي نعامة، بأقبلي بتيدكلت والتي تأسست سنة 1130هـ/1718م، وبالإضافة لكونها مكان تجتمع فيه قوافل الحجيج، القادمة من توات، و بلاد السودان، ومدرسة للتعليم كانت تعمل على نشر الطريقة القادرية بين الحجاج الأفارقة خاصة أن شيخها أبي نعامة كان أمير للركب من توات إلى أرض الحجاز.

وفي نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر الميلاديين ازداد دور وأهمية الكنتيين بفضل الشيخ سيد المختار الكنتي الكبير (ت1226هـ/1811م)⁽⁵⁶⁾، الذي بنا في الأزواد أكبر مدرسة وزاوية، عرفت بالزاوية المختارية القادرية⁽⁵⁷⁾، وأسس فرع من فروع الطريقة القادرية، وكانت له سلطة روحية قوية، امتدت لتشمل مناطق كثيرة من السودان الغربي⁽⁵⁸⁾. وقال عنه البرتلي الولاتي في فتح الشكور : "الشيخ سيد المختار القطب الرباني، والغوث الصمداني...من ظهرت بركته غربا وشرقا، ساقى المرید وعمدة أهل التوحيد...كان رحمه الله تعالى وليا عابداً زاهداً ياتونه المریدون من كل فج ومكان"⁽⁵⁹⁾. وبعد موته خلفه على الطريقة والقبيلة ابنه الشيخ محمد محمد الخليفة(ت1242هـ/1826م)، وبعده الشيخ المختار الصغير بن محمد (ت1263هـ/1847م)، والشيخ أحمد البكاي (ت1281هـ /1865م)، والشيخ حمادي بن المختار

الصغير(ت1286هـ/1869م)، والشيخ علواته بن حمادي(ت1226هـ/1811م)، والشيخ الأمين بن البكاي بن حبيب الله(ت1301هـ/1884م)، والشيخ عمر بن علي بن الشيخ أحمد(ت1344هـ/1926هـ) والشيخ باي بن عمر(1345هـ/1927م)⁽⁶⁰⁾. وفي هذا الصدد يقول الكاتب الفرنسي ديفريي(Duveyrier) : "أن الطريقة البكائية هي المفتاح من الجزائر إلى تمبكتو، وانك لا تستطيع أن تعرف هل البكائيون من أفريقيا، أم من توات، لكثرة أملاكهم وأتباعهم، ولترددهم هنا وهناك"⁽⁶¹⁾.

. جهود العائلة الرقانية: من بين العائلات التواتية التي كان لها دور في نشر التصوف في إفريقيا العائلة الرقانية ونذكر منها هنا على الخصوص كل من الشيخ مولاي عبد الله الرقاني (ت 1148هـ/1735م)⁽⁶²⁾ صاحب الزاوية والطريقة المشهورة برقان والذي أخذ التصوف عن الشيخ محمد بن أبي زيان القندسي، وابنه وخليفته على الطريقة الرقانية الشيخ مولاي عبد المالك الرقاني (ت1207هـ/1793م)⁽⁶³⁾: والذي قال عنه البرتلي في فتح الشكور: "القطب الرباني، والغوث الصمداني، الوالي الصالح ساقى المريد، وعمدة أهل التوحيد، شيخ المحققين، ومربي السالكين... وبالجملة فهو في الصلاح والولاية فوق ما يذكر... مكث اثني عشر عاما لا ينام ليلا ولا نهار، ملازما لتلاوة القرآن"⁽⁶⁴⁾ وذكر انه صاحب ولاية وكرامات وكانت زاويته في رقان مقصدا للوافدين من كل مكان. وكان له أتباع كثير في أفريقيا منهم البرتلي الولاتي(ت1202هـ) الذي أخذ ورد الشيخ مولاي عبد المالك الرقاني(ت 1207هـ/1793م)⁽⁶⁵⁾، وكان تلميذه، عن طريق الشيخ مولاي زيدان التواتي (ت

1202هـ/1788م) الذي كان الوسيط بين الشيخ مولاي عبد المالك الرقاني وإتباعه في أفريقيا، ولم تذكر المصادر أن كان البرتلي تنقل إلى توات للأخذ عن شيخه مولاي عبد المالك أم لا. بالرغم من وصفه الدقيق للزاوية برقان، كما بلغ من شدة احترامه وتأثره به تخصيص موضعاً وترجمة له وللشيخ مولاي زيدان في كتابه "فتح الشكور"، رغم أنهما ليسا من بلاد التكرور⁽⁶⁶⁾.

- تأثر الأفارقة بصوفية توات: لم تقتصر جهود علماء توات في نشر التصوف في أفريقيا على المغيلي وعلماء العائلة الكنتية والرقانية بل أخذ الكثير من الأفارقة التصوف على يد علماء تواتيون ونذكر هنا على سبيل المثال لا الحصر: الشيخ الفقيه الطالب الأمين بن الطالب الحرشي (ت1166هـ/1753م)، الذي أخذ حكم ابن عطاء الله في التصوف "الحكم العطائية" على يد الشيخ أحمد بن عمر التواتي (ت1138هـ/1725م) وأخذ عنه الورد والطريقة في التصوف⁽⁶⁷⁾. كما أخذ الشيخ الطالب محمد بن الطالب عمر الخطاط بن محمد نض البرتلي الولاتي (ت1165هـ/1752م) الورد الغازي الناصري، ومبادئ التصوف على يد الشيخ احمد بن محمد عمر بن علي بن عبد الله التسابيتي⁽⁶⁸⁾ التواتي⁽⁶⁹⁾. أما الشيخ حمى الله مؤسس الطريقة الصوفية الحمالية، أخذ تعاليم الطريقة على يد الشيخ محمد بن أحمد بن عبد الله الشهير بالشريف مولاي الأخضر، الذي كان يدرس التيجانية في السودان الغربي⁽⁷⁰⁾. كما توجد بمركز أحمد بابا للتوثيق بتمبكتو قصيدة للشيخ التيجاني بن محمد الأمين الأرواني يرثي فيها الشيخ مولاي عبد السلام التواتي وفيها ذكر لفضله وفضل التواتين ومكانتهم عند

الشيخ الأرواني وعموم سكان تلك المناطق⁽⁷¹⁾. كما أن صفت البركة والزهد والعافية لازمتهم في ربوع السودان الغربي، والمثال على ذلك الأولياء الثلاثة عشر، الذين يحيطون بمدينة تمبكتو، ثلاثة منهم تواتيون وهم: الشيخ أحمد بن أمير الرقادي الكنتي(ت 1096هـ/1685م)، وقبره غرب المدينة والشيخ أبو القاسم التواتي(ت 935هـ/1529م)، مدفون لجهة الغرب من المدينة، والشيخ المختار بن محمد بن المختار الكبير(ت 1264هـ/1848م) وهو مدفون على جهة الشرق من نفس المدينة⁽⁷²⁾.

خاتمة: و في ختام هذه الورقة البحثية يمكن الخروج بمجموعة من النتائج أهمها:

. عرف التصوف طريقه إلى منطقة توات منذ القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي.
- أسهمت مجموعة من العوامل في انتشار التصوف في توات نذكر منها قدوم المتصوفة والعلماء، وطبيعة المنطقة التي تساعد على الزهد، وازدهار تجارة القوافل، والحج.
. انتشرت في توات الكثير من الطرق الصوفية وقلما تجد في توات شيخا أو عالما لا ينتمي لطريقة.

. من أشهر الطرق الصوفية في توات القادرية، والشاذلية، والشيخية، والموساوية، والتجانية، والرقانية.

. كان للمغلي دورا كبيرا في انتشار الطريقة القادرية في عموم الصحراء كما انه يعد أول من أدخلها للسودان الغربي.

- أسهمت العائلة الكنتية بزواياها وعلمائها في انتشار القادرية في السودان الغربي حتى عادت من أكثر الطرق انتشارا في إفريقيا.

- عرفت الطريقة الرقانية التواتية انتشارا كبيرا في إفريقيا خاصة في منطقة الحوض وكانت زاويتها في رقان مقصدا لكثير من الأفارقة.

- لم تقتصر إسهامات توات في نشر التصوف في إفريقيا على المغيلي والعائلتين الكنتية والرقانية بل كان لكثير من الأفارقة نشاط في هذا المجال وخير مثال الشيخ حمى الله مؤسس الطريقة الصوفية الحمالية التجانية، أخذ تعاليم الطريقة على يد الشيخ محمد بن أحمد بن عبد الله الشهير بالشريف مولاي الأخضر، الذي كان يدرس التيجانية في السودان الغربي.

الحواشي:

- (1) عبد الرحمان بن عبد الله السعدي: تاريخ السودان، طبعة هوداس، باريس، 1981م، ص 07.
- (2) محمد بن عمر البوداوي الجعفري: نقل الرواة عن من أبدع قصور توات، خزنة بودة، أدرار، الجزائر، ص 3، 4.
- (3) أبو عبد الله الأنصاري: فهرست الرصاع، تحقيق محمد العنابي، المكتبة العتيقة، تونس، بدون تاريخ، ص 127.
- (4) محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق التمنطي: درة الأقاليم في أخبار المغرب بعد الإسلام: مخطوط، خزنة كوسام، أدرار، الجزائر، ص 8، 9.
- (6) Mandeville G: **L' Algérie méridionale et le Touat**, paris, 1898, p8.
- (6) مولاي احمد الطاهري الإدريسي: نسيم النفحات في ذكر جوانب من أخبار توات، مخطوط، دون ترقيم، خزنة كوسام، ادرار، الجزائر، ص 12.
- (7) Reclus Élisée: **Nouvelle Géographie universelle**, T.XI (L'Afrique septentrionale), Paris, 1886, p 845.
- (8) Martin A.G.P: **quatre siècles d'histoire marocaine (1504, 1904)**, paris, 1923, pp,1, 2.
- (9) الأطلس العالمي: المعهد التربوي الوطني والديوان الوطني للمطبوعات المدرسية، الجزائر، بدون تاريخ، ص 18، 19.

(10) عليق ريجة نابت: **قصر ملوكة دراسة تاريخية وأثرية**، رسالة ماجستير، قسم الآثار، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر 2001 2002م، ص 15.

(12) Bernard Saffroy: **chronique du Touat, centre saharienne**, Ghardaïa, Algérie, 1994. p 01.

(12) مبارك جعفري: **العلاقات الثقافية بين توات والسودان الغربي خلال القرن 12 هـ**، دار السبيل للنشر والتوزيع، بن عكنون الجزائر، 2009، ص من 70 إلى 75.

(13) ابن مريم: **البيستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1986م، ص 253 وما بعدها. أحمد بابا التمبكتي: **نيل الإبتهاج بتطريز الديقاج**، تحقيق علي عمر، جزآن، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2004، ص 264 وما بعدها.

(14) مُجَّد بن عبد الكريم: **المخطوط السابق**، ص 19.

(15) للمزيد حول ترجمته أنظر: عبد القادر الكسنمي الطوبوي: **كتاب البشري شرح المرقاة الكبرى**، مطبعة المنار، تونس، 1373هـ، ص 100 وما بعدها. مُجَّد بن سيد المختار الكنتي: **الطرائف والتلائد**، مخطوط، بدون ترقيم، خزانة الشيخ عبد القادر المغيلي، الحي الغربي، ادرار، الجزائر، ج 1، ص ص 141، 144.

(16) مولاي احمد الطاهري الإدريسي: **المخطوط السابق**، ص 171.

(17) نفسه: ص 12.

(18) حسا بي ع ثمان: **البيئة الاجتماعية والاقتصادية للصحراء الجزائرية من خلال تقارير الأجانب في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، إشراف د بن يوسف تلمساني، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2006. 2007، ص 33.

(19) مُجَّد بن عبد الكريم: **درة الاقلام**، المخطوط السابق، ص 11.

(20) عبد الله بن مُجَّد العياشي: **الرحلة العياشية 1661م . 1663م**، تحقيق د سعيد الفاضلي و د سليمان القرشي، جزآن، ط1، دار السويدي للنشر والتوزيع، الإمارات العربية المتحدة، 2006، ج1: ص 109.

(21) مُجَّد بن عبد الكريم: **جوهرة المعاني**، المخطوط السابق، ص ص 24، 48.

(22) مُجَّد الصالح حوته: **توات والأزواد**، جزآن، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2007م، ص 238 وما بعدها.

(23) للمزيد حول الطريقة وشيوخها وفروعها، أنظر: مُجَّد بن سيد المختار الكنتي: **الطرائف والتلائد**، المخطوط السابق . وعبد القادر الكسنمي الطوبوي: **المرجع السابق**.

(24) أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر الهجري**، جزآن، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985م، ج1: ص 503.

(25). مُجَّد حوته: **المرجع السابق**، ج1، ص 186 وما بعدها.

(26) نفسه، ج1، ص 201 وما بعدها.

(27) مبارك جعفري: **العلاقات الثقافية بين توات والسودان الغربي خلال القرن 12 هـ/18م**، دار السبيل للنشر والتوزيع، بن عكنون الجزائر، ص 102.

- (28) مُجَدَّ عبد القادر بن عمر بن عبد الرحمان التنيلاني: الدرّة الفاخرة في ذكر ما بتوات من العلماء والأشرف الإدريسيين والعلويين، مخطوط، بدون ترقيم، خزانة كوسام، ادرار، الجزائر، ص 11. مولاي التهامي غيتاوي: سلسلة النواة في إبراز شخصيات من علماء وصالحى إقليم توات، جزآن، ط1، المطبعة الحديثة للفنون المطبعية، الجزائر، 2001، ج1/ص 21..
- (29) البرتلي الولاتي(أبو عبد الله): فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور. تحقيق مُجَدَّ إبراهيم الكتاني و مُجَدَّ حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981م، ص 201 وما بعدها. مُجَدَّ عبد القادر بن عمر التنيلاني: المخطوط السابق، ص11.
- (30) البرتلي: المصدر السابق، ص ص201، 202.
- (31) Bernard Saffroy: op.cit, p8.
- (32) موسوعة أعلام المغرب (مجموعة من كتب التراجم): تحقيق مُجَدَّ حاجي وأحمد توفيق، ط1، 08 أجزاء، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1996م، ج2، ص814.
- (33) ينظر ترجمته: مُجَدَّ بن ميمون: التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تحقيق مُجَدَّ بن عبد الكريم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، ط2، 1981، ص 348. مُجَدَّ بن مُجَدَّ مخلوف: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، المطبعة السلفية، القاهرة، 1349هـ، ص ص 264، 265. موسوعة أعلام المغرب: المصدر السابق، ج2، ص781.
- (34) أحمد بابا التنبكتي: المصدر السابق، ج2، ص266.
- (35) المُجَدَّ الكنتي: الشيخ مُجَدَّ بن عبد الكريم المغيلي نبذة عن حياته ومآثره، أعمال اللجنة الولائية المكلفة بتحضير المهرجان الثقافي الأول للتعريف بتاريخ منطقة أدرار، 1405هـ - 1985م، ص 05.
- (36) عبد الرحمان السعدي: المصدر السابق، ص 39. مُجَدَّ بلو بن عثمان فودي: إنفاق المسور في تاريخ بلاد التكرور، تحقيق بهيجة الشاذلي، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، الرباط المغرب، 1996م، ص 74.
- (37) عبد الرحمان السعدي: المصدر السابق، ص 41. مُجَدَّ بلو: المصدر السابق، ص 65.
- (38) قرية تقع في النيجر حاليا شمال شرق مدينة اغادس.
- (39) أبو بكر إسماعيل ميقا: الحركة العلمية والثقافية والإصلاحية في السودان الغربي من 400هـ إلى 1100هـ، ط1، مكتبة التوبة، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1997م، ص 119.
- (40) كانو وكشنا مدينتان تقعان في نيجيريا حاليا.
- (41) آدم عبد الله الألوري: الإمام المغيلي وآثاره في الحكومة الإسلامية في القرون الوسطى في نيجيريا، ط1، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، 1974، ص 39.
- (42) يحيى بوعزيز: تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية من القرن 16 على القرن 20، دار هوم، الجزائر، 2001م، ص 80.
- (43) انظر الأسئلة والأجوبة: مُجَدَّ بن عبد الكريم المغيلي: أسئلة الأسئلة وأجوبة المغيلي، خزانة الشيخ سيدي عبد القادر المغيلي، الحي الغربي، ادرار، الجزائر. عبد القادر زبادية: الحضارة العربية والتأثير الأوربي في إفريقيا جنوب الصحراء، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989، ص 151 وما بعدها.
- (44) بول مارتي: كنته الشرقيون، تعريب مُجَدَّ محمود ودّادي، مطبعة زيد بن ثابت، دمشق سوريا، 1985م، ص 143.

- (45) السير توماس أرنولد: الدعوة إلى الإسلام (بحث في تاريخ نشر العقيدة الإسلامية)، ترجمه إلى العربية وعلق عليه د حسن إبراهيم حسن ود عبد المجيد عابدين وإسماعيل النجراوي، ط2، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1957، ص 278.
- (46) ولد سنة 1168هـ/1754م بسوكوتو في نيجيريا، حفظ القرآن وهو صغير، وأتبعه بالعلوم الإسلامية المختلفة، قام بجولات عديدة في مختلف الأقطار الإفريقية، كان أثنائها يدعو الناس، لنبذ البدع والخرافات، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تحولت حركته إلى حركة سياسية تمكن خلالها من إقامة دولة إسلامية في بلاد الهوسا بداية القرن 13هـ/19م. مُجَّد بيلو: المصدر السابق، ص 81 وما بعدها.
- (47) أبو بكر إسماعيل ميقا: المرجع السابق، ص 170 وما بعدها.
- (48) أمَّجَّد الكنتي: الشيخ مُجَّد بن عبد الكريم المغيلي نبذة عن حياته ومآثره، المرجع السابق، ص 9.
- (49) بول مارتي: المصدر السابق، ص 9. وللمزيد أيضا ينظر: نبذة تاريخية موجزة عن القادرية الكنتية في منطقة حوض النيجر وما جاورها، تأليف اللجنة المؤسسة، أعمال مركز الشيخ سيد المختار، قأوه، مالي، 1999م.
- (50) يروى أنه سمي بالبكاي لأنه بقى مائة عام لم تجف له دمعة من صلاة فاتته في الجماعة. مُجَّد بن المختار: الطرائف، المخطوط السابق، ج 1، ص 142.
- (51) بول مارتي: المصدر السابق، ص 28.
- (52) باحمد دمه الكنتي عمر: الزوايا الكنتية أعلاماً وجغرافية، د د ن، النيجر، 2005م، ص 18 وما بعدها.
- (53) مُجَّد بن سيد المختار الكنتي: المخطوط السابق، ج 1، ص 141.
- (54) أمَّجَّد الكنتي: محاضرة حول تأسيس عرش أولاد السي حمو بالحاج، أعمال الملتقى الرابع حول تاريخ زاوية كنته (أولاد سي حمو بالحاج تاريخ وحضارة)، 01 جوان 2006م، زاوية كنته، ادارار الجزائر،
- (55) مولاي التهامي غيتاوي: المرجع السابق، ج 1/ ص 73 وما بعدها.
- (56) للمزيد حول حياة الشيخ أنظر: مُجَّد بن المختار الكنتي: الطرائف والتلائد، المخطوط السابق. عبد القادر الكسمني الطوبوي: المصدر السابق، ص 83 وما بعدها. الحمدي أحمد: المختار الكبير الكنتي التصوف والعلم بأزواد إفريقيا، جمعية البيت للثقافة والفنون (منشورات البيت)، الجزائر، 2009.
- (57) باحمد عمر دمه: المرجع السابق، ص 24.
- (58) Aziz A. Batran : **The Qadiryya Brotherhood In West Africa and The Western Sahara**, publication de L'institut des etudes African , Rabat, 2001, p 163.
- (59) البرتلي: المصدر السابق، ص 152.
- (60) يحي ولد سيد أحمد: المرجع السابق، ص 118 وما بعدها.
- (61) مبارك جعفري: المرجع السابق، ص 273.
- (62) أنظر: مُجَّد عبد القادر بن عمر التنيلاي: المخطوط السابق، ص 11. مولاي التهامي: المرجع السابق، ج 1/ ص 21. أحمد جعفري: الحركة الأدبية في منطقة توات خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين، رسالة دكتوراه في الأدب، إشراف الدكتور مُجَّد زمري، جامعة تلمسان، 2006/2007م، ص 328.

-
- (63) أنظر ترجمته: البرتلي: المصدر السابق، ص 201 وما بعدها. مُجدد عبد القادر بن عمر التنيلاني: المخطوط السابق، ص 11. مولاي التهامي: المرجع السابق، ج 1/ ص 34 وما بعدها. أحمد جعفري: المرجع السابق، 329.
- (64) البرتلي: المصدر السابق، ص ص 201، 202.
- (65) نفسه.
- (66) نفسه، ص 201 وما بعدها.
- (67) نفسه، ص 66.
- (68) نسبة إلى تسايت.
- (69) البرتلي الولاتي: المصدر السابق، ص 127.
- (70) عبد الله عبد الرزاق إبراهيم: الطرق الصوفية ودورها في نشر الإسلام في أفريقيا، ندوة الإسلام والمسلمون في أفريقيا، تنظيم جمعية الدعوة الإسلامية العالمية بالتعاون مع معهد الدراسات الإفريقية التابع لجامعة القاهرة والجمعية المصرية الأفريقية للعلوم السياسية، المنعقدة بتاريخ 18-19 يوليو 1998م، طرابلس، ليبيا، ص 11.
- (71) القصيدة مخطوطة وتحمل رقم 5628، بمركز أحمد بابا للتوثيق بتمبكتو.
- (72) أحمد بن بابير الأرواني: السعادة الأبدية في التعريف بعلماء تمبكتو البهية، مخطوط، دون ترقيم، المكتبة الزيدانية، نيامي، النيجر (نسخة بيد الباحث)، ص 84 وما بعدها.